سينما

كلوني في الفضاء الخارجي

ميلودراما بكائية بلا معنى

تعرض المنصّة الأميركية «نتفليكس» فيلماً جديداً للأميركي جورج كلوني، تمثيلاً وإخراجاً وإنتاجاً، تدور أحداثه في الفضاء الخارجي

نديم جرجوره

مجدّداً، يخوض جورج كلوني تجربة سينمائية في الفضاء الخارجي. له مع هذا الفضاء رحلات عدّة، أبرزها نسخة أميركية عن «سولاريس» (1972)، رائعة أندريه تاركوفسكي، يُنجزها ستيفن سودربيرغ عام 2002. بعدها، يمثّل في «جاذبيّة» (2013) لألفونسو كوارون، و«أرض الغد» (2015) لبراد بيرد. مع «سماء منتصف الليل» (2020)، يمثّل ويُخرج ويُنتج اقتباساً عن كتاب «صباح الخير، منتصف الليل» (2016) للأميركية ليلي بروووكس . دالتون (سيناريو: مارك أل. سميث).

تستدعي قراءة فيلم جديد لجورج كلوني تجربته الإخراجية. فيها، يكشف أفكاراً واختباراتٍ وتحليلات، تتعلّق بأحوال أميركا وكواليسها في السياسة والإعلام والرياضة والاستخبارات. مغامراته متفاوتة الجودة. إخراجه . رغم كونه أهمّ من تمثيله في أفلام كثيرة لمخرجين متنوّعي الأساليب والأمزجة . غير مُحافِظٍ على سوية، وغير متمكّن على تطوير وبلورة. كشفه مكامن خلل وفضائح، في أجهزة سلطات أميركية واجتماع محلي وتاريخ عام، يعاني ارتباكاً في صنعه السينمائيّ. الفضاء الخارجيّ موضوع جديدٌ له كمخرج، من دون أنْ يمنح سيرتَه السينمائية إضافة نوعية، بل إنّه يُسيء إلى اختباراته وخياراته، وبعضها أساسيّ في صناعة سينمائية أميركية حديثة.

الأهمّ في لائحة أفلامه كمخرج يتمثّل بـ«اعترافات عقل خطر» (2002) و«عمتم مساء وحظّاً سعيداً» (2005) و The Ides Of March، المُنجز عام 2011. للرياضة الأميركية حصّتها في قراءة كلوني، بإخراجه Leatherheads عام 2008. إمعانه في تفكيك حكايات أميركية راسخة مصنوعٌ بلغة بصرية تتكامل جوانبها الفنية والدرامية والجمالية في سرد تفاصيل وهوامش، وفي تحويل الصُور إلى مرايا تُعرّي مخبّأ في الذاكرة والتاريخ الأميركيين. أفلامه الأخرى في اللائحة نفسها أقلّ أهمية. أسوأها «رجال الآثار» (2014). بالإضافة إلى إخراجه، يؤدّي كلوني فيها أدواراً أساسية، باستثناء «سُبُربِكَن» (2017)، الذي يختار صيف 1957 زمناً لسَرد حكاية عائلة أفروأميركية تصل إلى مدينةٍ (عنوان الفيلم)، تُجسِّد فعلياً «الحلم الأميركي».

جديد جورج كلوني المخرج مشروعٌ للمنصّة الأميركية «نتفليكس»، تعرضه عليه قبل وقتٍ. يوافق على إخراجه والتمثيل فيه، ويُشارك في إنتاجه. يبدأ العمل صيف 2019. في 11 ديسمبر/ كانون الأول 2020، يبدأ عرضٌ تجاري محدود له في صالات أميركية قليلة. بعد 12 يوماً فقط (23/ 12)، يبدأ عرضه على شاشة المنصّة: «المشروع مُنجز ليُشاهَد على شاشة كبيرة. تصويره حاصل بكاميرا 65 ملم. مُصمَّم لعرضه في صالات IMAX» (جورج كلوني، حوار مع فردريك فوبير، منشور في المجلة السينمائية الفرنسية «بروميير»، نوفمبر/ تشرين الأول 2020): «أغواني المشروع لاختلافه عن أعمالي كلّها لغاية الآن».

اختيار كلوني دور أوغستين لوفْتهاوس . العالِم الباحث في شؤون الفضاء، والمهووس بالعثور على كوكب آخر غير الأرض يُمكن للبشرية أنْ تستوطنه . متأتٍ من انجذاب ذاتي ونفسي للشخصية: رجلٌ في بدايةٍ الشيخوخة، له لحية كبيرة ورمادية، يبحث عن أجوبة متعلّقة بالأبوّة تحديداً: «سأبلغ 60 عاماً (مواليد 6 مايو/ أيار 1961). هذا دورٌ أفهمه تماماً. أشعر أنّي قادرٌ على تأديته. لا يوجد في هوليوود ممثّلون كثيرون يملكون القامة المطلوبة لهذا الدور. صحيحٌ أنّ هناك ممثّلين يستطيعون حمل فيلمٍ، بميزانية ضخمة، على أكتافهم. لكنْ، في هذا العمر؟ ليس كثيراً». يُضيف: «الرجل الذي أؤدّيه يبحث عن شكلٍ للخلاص. عليّ القول إنّ شخصيات كهذه يُثيرون شغفي واهتمامي» (الحوار نفسه). يَذكُر كلوني أنّ له أدواراً تنخرط في هذا الإطار، كـ«سيريانا» (2005) لستيفن غاغان و«مايكل كلايتن» (2007) لتوني غيلروي: «لي أدوارٌ منضوية في تنويعات عدّة على هذا النموذج الأصليّ».

كلامٌ يُستشفّ منه عمق في قراءة شخصية، تبحث عن خلاصٍ للبشرية خارج كوكب الأرض، وعن خلاصٍ ذاتيّ داخل مرصدٍ في قطب جغرافيٍ بعيدٍ عن العالم. مُشاهدة الفيلم تقول نقيض هذا، كأنّ كتابة الفيلم، التي تُغري الممثل، تتناقض وتنفيذه سينمائياً. «سماء منتصف الليل» ميلودراما بكائية ساذجة، خصوصاً في فصلها الأخير. لقطات طويلة مملّة. مَشاهد فارغة من أي معنى. حوارات يندر العمق الفكري والإنساني والانفعالي فيها. تمثيل عاديّ، إنْ مع جورج كلوني نفسه، أو مع آخرين، كفيليستي جونز وكايل تشاندلر وديفيد أويلوو. مؤثّرات بصرية وصوتية حِرفيّة، لكنّها غير مانحةٍ الفيلم إضافات أهمّ. جوهر الحبكة وتفاصيلها و«أسئلتها» (تلوث شعاعي يقضي على كوكب الأرض، البحث عن خلاص، الأبوّة، العلاقات العاطفية، الإنجاب في الفضاء، المتاهة، إلخ.) يُمكن طرحه في مشروع سينمائيّ يُصوّر على الأرض، لا في غرفِ الكمبيوتر.

في اللقطات الأولى، أناس يتمّ إجلاؤهم من «مرصد باربو» (الدائرة القطبية الشمالية). يُذكر أنّ هذا حاصلٌ في شهر فبراير/ شباط 2049. متابعة الفيلم (118 دقيقة) لن تُقدّم فائدة واحدة بخصوص تحديد زمن الحدث بمستقبلٍ قريب. كلامٌ عن الوطن والعودة إليه، لحظة إجْلاء بعض الناس، عاديّ للغاية. النهاية تقول إجابات مختلفة: البقاء في الفضاء (رائدا فضاء يُشكّلان ثنائياً، والمرأة حامل)، أو في المرصد (العالِم وخرابه الداخلي ومحاولاته للتطهّر). العودة إلى الأرض بحثاً عن العائلة (رائدا فضاء آخران، مع جثة زميلتهما التي تتوفى في حادث خارج المركبة الفضائية). باختصار، هذا الفيلمُ نكسة لوسيم، ذي أداءات باهرة قليلة، واختبارات إخراجيّة أفضل.

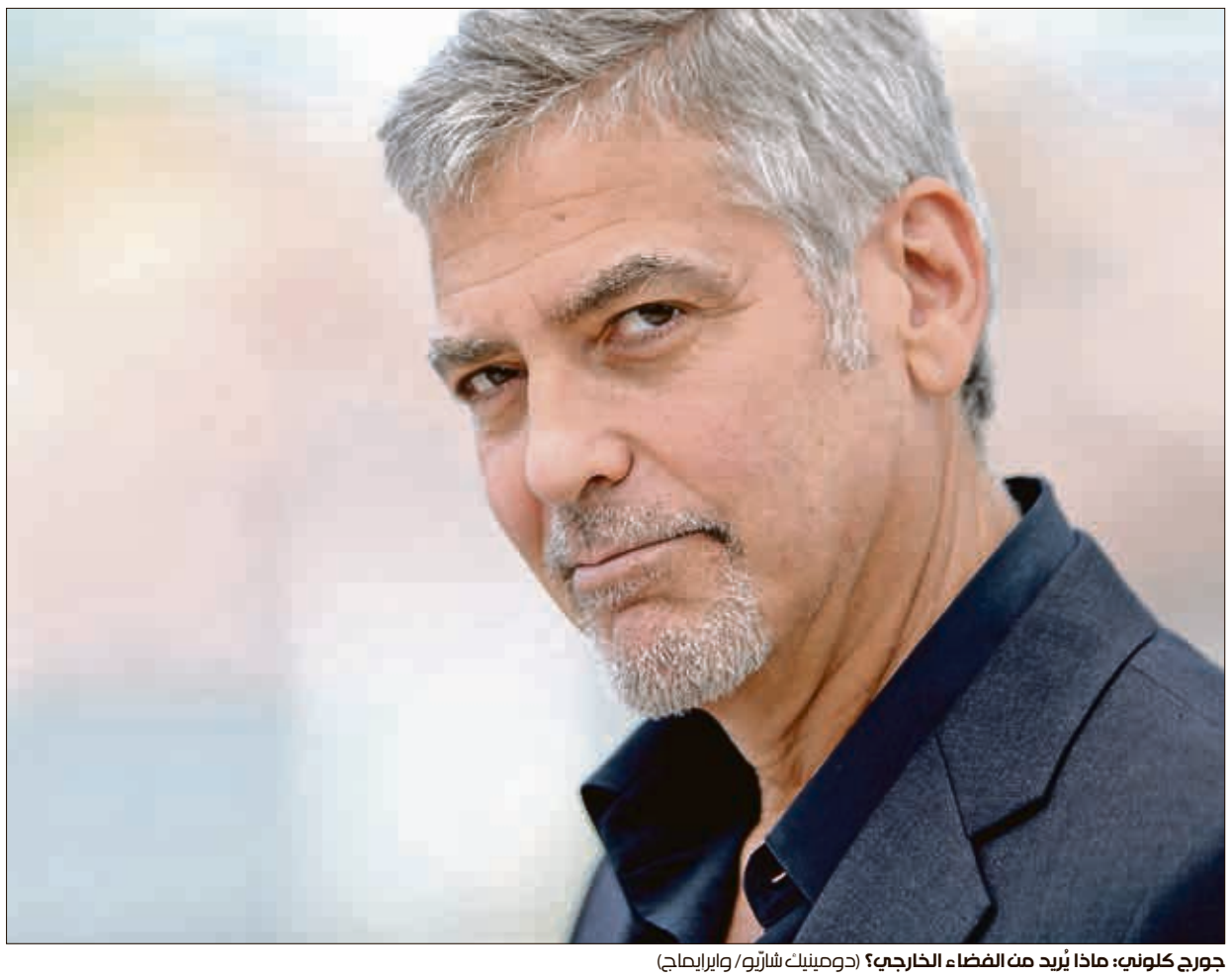

جورج كلوني: ماذا يُريد من الفضاء الخارجي؟ (دومينيك شارّيو/ وايرايماج)

تجربة إخراجية لكلوني تكشف أفكاراً واختبارات وتحليلات

رحيل مايكل آبتد: السينمائيّ الصبور

إحدى ميزات أفلامه الروائية، المُنجزة في 45 عاماً (1972 . 2017)، تكمن في اهتمام ملحوظٍ بسِيَر حياتية وحكاياتٍ مرتبطة بشخصيات معروفة، بدءاً من «أغاتا» (1979)، المرتكز على حدثِ اختفاء أغاتا كريستي 11 يوماً في ديسمبر/ كانون الأول 1926. بعده مباشرة، يختار الإنكليزي مايكل آبتد . الراحل في 7 يناير/ كانون الثاني 2021، قبل احتفاله بعيد ميلاده الـ 80 بـ 33 يوماً فقط . المغنية الأميركية لوريتا لين، لإنجاز «ابنة كول مينر» (1980)، منتقلاً . بعد تحقيقه أفلاماً عدّة . إلى عالمي الطبيعة والحيوانات، في أوغندا تحديداً، بإنجازه «غوريلا في الضباب: قصّة داين فاسي» (1988).

هذه أمثلة. لائحة أفلامه طويلة. التنويعات كثيرة. التشويق البوليسي حاضرٌ، وبعضه معطوفٌ على النفسيّ، كما في Blink، المُنجز عام 1994: إصابة بالعمى، وعلاجٌ يمنح المُصابَة به بعض رؤية، لكنّ المصيبة تقع، فهي شاهدة على جريمة قتل. السِّير الحياتية غير بعيدة عن النفسيّ أحياناً. بساطة المعالجة الدرامية تمتلك شيئاً مهمّاً من قراءاتٍ، تتناول ارتباكات وقلاقل وبحثٍ عن منفذٍ وخلاص. التجاريّ مقبول، فالمخرج يريد اشتغالاً، من دون الوقوع في مطبّ التقليد. آخر فيلم له، «مفتوح (Unlocked)»، يجمع بين الاستخباراتيّ والإرهابيّ والنفسيّ، والأخير منبثقٌ من فشلٍ مدوٍّ في المهنة. فيلم يرسم صورة ما عن أميركا المعاصرة.

للتلفزيون في مهنته حيّز كبير. حلقات ومواسم ووثائقيات. «الفانتازيا»، كنوع سينمائي، جاذبةٌ له، فيُحقّق في إطارها «يوميات نارنيا: رحلة الفجر المظلمة» (2010)؛ تماماً كالكوميديا، فيُحقّق فيها «حالة حرجة» (1987). هناك شيءٌ من الرومانسية أيضاً، كما في Continental Divide، المُنجز عام 1981. تنويعاتٌ تنفتح على تجربةٍ غير بعيدة عن معالم سينماه، رغم أنّها مستقلّة بحدّ ذاتها في عالم الاستخبارات والتجسّس: عام 1999، يُنجز الحلقة الـ19 من سلسلة أفلام جيمس بوند، بعنوان «العالم غير كافٍ»، الذي يؤدّي بيرس بروسنان فيه دور العميل 007 للمرّة الثالثة. هذا يطرح سؤال: أيّ جديد يُقدّمه مايكل آبتد، ابن القارة البريطانية نفسها التي تشهد ولادة جيمس بوند، روائياً وسينمائياً؟ تلك الحلقة، وإنْ تمتلك شروطاً «صارمة» يُفترض بكلّ مخرج التزامها عند تحقيقه فيلماً في السلسلة، تبقى عاديّة، وبروسنان فيها غير مُجدٍّ، والمغامرات الخطرة، المعطوفة على بطولات يصعب تصديقها، مصنوعة بحِرفية من دون أنْ تمنح إضافة سينمائية أو غير سينمائية. في «مفتوح»، مثلاً، هناك ما يشي بتوغّل، وإنْ يكن مبطّناً، في كواليس الصراع القائم بين أميركا والإرهاب، وموقع بريطانيا والجهاديين فيه.

للسلسلة الوثائقية (7 Up أجزاء بين عامي 1964 و2019) مكانة خاصّة. أجزاءٌ تؤرّخ سيرة مخرج يُنجز وثائقيات، وحياة 14 ولداً بريطانياً، منذ بلوغهم 14 عاماً. سلسلة تحفر عميقاً في الاجتماعيّ والاقتصادي للمملكة المتحدّة، من خلال أفرادٍ يتقدمون في السن، ويشهدون تحوّلات توثّقها كاميرا مخرج صبور ومتابع ودقيق في التقاط ملامح أكثر من زمنٍ وحكاية.

ندين...

مايكل آبتد في مهرجان نيويورك الـ57 عام 2019 (جيم سْبلمان/ Getty)

أقوالهم

إنّها هوليوود. هؤلاء محاسبون لا يُحبّون السينما، حقيقةً. انتبه، أتحدّث عن هوليوود بشكلٍ عام، وليس عن «ديزني». إذا نجحت «ديزني» حيث تحطّم الآخَرون، فهذا عائدٌ إلى تنبّهها الكبير والدقيق لخلفيات الأفلام ومصائرها، إنْ تكن الأفلام مستلّة من «مارفل» أو «لوكاس فيلم» أو «بيكسار». هدفهم العثور على أناسٍ تكون لهم مضامين خارقة، ويدعمونهم بشدّة.

ماتيو فوغن

في أفلامي، تكون الكلمات عادة في خدمة الحركة والصورة. هذه المرّة (On The Rocks، منصّة «آبل تي في+»)، تمنح الكلمات ما يصنع التتمة، أو ما يُعتبر اللاحق على الحركة والصورة. لا أريد أنْ أتجذّر في أرضية الإيقاع، وأبقى فيه.

صوفيا كوبولا

مع كوفيد 19، اختلطت الأمور كلّها بعضها ببعض، بطريقة استعراضية. السؤال المطروح حالياً لم يعد يهتمّ بما إذا كان الناس يريدون مُشاهدة الفيلم أو لا، بل بما إذا كانوا قادرين على مُشاهدته أو لا. وهذا عصيبٌ، ألّا نتمكّن من مُشاهدة الأفلام، لأنّ الثقافة تؤسِّس هويةَ شعبٍ.

ألبر دوبونتل

أفعالهم

Pieces Of A Woman لكورنل مونروكْزو، تمثيل فانيسا كوربي (الصورة) وشيا لابوف: أثناء ولادة جنينها الأول في منزلها، رفقة حبيبها والقابلة القانونية، تفقد مارتا مولودتها بعد ثوانٍ قليلة على مجيئها إلى العالم، فيُصاب الجميع بانهياراتٍ عصبية ونفسية، تكشف الكثير من المخبّأ في العلاقات والماضي والانفعالات. فيلم عادي للغاية، بلقطات طويلة أحياناً لا تُفيد بشيء.

The Dig لسيمون ستون، تمثيل كاري موليغان (الصورة) ورالف فينيس: في نهاية ثلاثينيات القرن الـ20، تُقيم أرملة ثرية في منزل كبير تحيطه مزرعة واسعة في مدينة ريفية بريطانية. تتفق مع عالِم آثار للحفر في أرضها، فيكتشف مقبرة وسفينة. كنز يُمكنه أنْ يقلب تاريخ العالَم رأساً على عقب.

Jungle Cruise لجوم كوليت . سيرّا، تمثيل دواين جونسن وايميلي بلانت (الصورة): في ثلاثينيات القرن الـ20، خلال الأزمة الاقتصادية والانهيار الكبير في أميركا، يوافق فرانك على نقل عالِم وشقيقه على متن سفينته إلى الأدغال، بحثاً عن قوّة غامضة.

أخبار

◆ قبل أسابيع قليلة على الاحتفال بالنسخة الـ93 (25 إبريل/ نيسان 2021) لجوائز «أوسكار»، تمّ اختيار 9 أفلام عربية لتمثيل بلدانها في التصفيات الأولى في فئة أفضل فيلم غير ناطق بالإنكليزية، التي يُفترض بـ«أكاديمية علوم الصورة المتحركة وفنونها» في هوليوود إعلان نتائجها قريباً، في لائحة ستتضمّن الترشيحات الرسمية: «هليوبوليس» للجزائري جعفر قاسم، عن أسرة تتغيّر حياتها في 8 مايو/ أيار 1945 مع بداية التظاهرات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، للمطالبة بالاستقلال (محور الفيلم مذبحة سطيف).

«الرجل الذي باع جلده» للتونسية كوثر بن هنيّة («العربي الجديد»، 6 يناير/ كانون الثاني 2021): علاقة فنان بمهاجر، وأسئلة الهجرة والفن والاستغلال، من خلال رسم لوحة على ظهر سوريّ يلحق بحبيبته إلى أوروبا، فيُسخّر جسده للفنّ.

«200 متر» للفلسطيني أمين نايفة («العربي الجديد»، 4 سبتمبر/ أيلول 2020): جدار الفصل العنصري يمنع عائلة واحدة من التلاقي بسلام وهدوء، ورحلة الأب إلى زوجتِه وأبنائه وبناته محفوفة بمخاطر، في بلدٍ محتلّ.

«مفاتيح مكسّرة» للّبناني جيمي كيروز: الحرب السورية تدفع موسيقياً شاباً إلى البحث عن منفذ للخلاص، لكن مصاعب وتحدّيات كثيرة يواجهها، خصوصاً مع جهات تمنع الموسيقى وتكره الفنّ.

هناك أيضاً «ستموت في العشرين» للسوداني أمجد أبو العلاء («العربي الجديد»، 15 مايو/ أيار 2020)، الذي يبدأ بسطوة أسطورة على بيئة اجتماعية، ويذهب بعيداً في تفكيك تلك البيئة، اجتماعياً وثقافياً وحياتياً وفنياً، من خلال شاب يعيش حياته منتظراً قولاً أسطورياً بموته عند بلوغه 20 عاماً.

أما «لما بنتولد» للمصري تامر عزت («العربي الجديد»، 18 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019)، فيتوغل في أحوال الاجتماع المصري، عبر العلاقات العاطفية والعائلية والاجتماعية المتحكّمة بقوانين غير مكتوبة، وقصص حب مبتورة، وصُور شفّافة مرسومة بالموسيقى والغناء.

بالإضافة إلى «سيّد المجهول» للمغربي علاء الدين الجمّ («العربي الجديد»، 20 ديسمبر/ كانون الأول 2019)، و«سيّدة البحر» للسعودية شهد أمين.